

## -o- اصل اللغات السامية -o-

هي مقالة لكاتب هذه المجلة تليت في ردهة المدرسة البطريكية في بيروت يوم احتفالها بتوزيع الجوائز سنة ١٨٨١ وطُبعت في مجلة المقتطف في الجزء السادس من مجلد السنة المذكورة ونحن معيدون طبعها في الضياء اجابه لاقتراح بعض مشتركينا الادباء وهي هذه

هو بحثٌ اقترح عليّ على ضيق الوقت وتشتت البال ووزارة المادة وضعف العتدة وعلى كونه من المباحث التي تباعدت فيها مسافة الخلاف وخفيت اعلام البيان وكثرت الدعاوي وتخلف الدليل فمن دون الوصول الى غايته تيهٌ سحيق ومن دون ابداء الرأي فيه السنة حداد وصدور حرار ولكنني سأتوخى فيه ما اظنه الاشبه والامثل ولعلي لا اعدم في جانب الحق نصيراً وفي جانب الحلم صفحاً جميلاً

المراد باللغات السامية الهجبة التي كانت على السنة ابناء سام بن نوح عليهما السلام ومن اخذ اخدمهم وهم سكان القسم الجنوبي من غرب آسية من حدود الارمن شمالاً الى البحر العربي جنوباً ومن خليج العجم شرقاً الى البحر الاحمر غرباً . وكانت ألسنتهم تنقسم الى ثلاث لغات في الجملة وهي العربية في ناحية الجنوب والعبرائية في ناحية الغرب والإرمنية في ناحيتي الشمال والشرق . وهناك لغات أخرى من نحو الفينيقية والفلسطينية من اللغات الدائرة والسامرية من لغات المتأخرين والحبشية من لغات ابناء حام بأفريقية نوميء الى بعضها من جانب الكلام اذ ليس لنا من الذرائع المبلغة الى موضع البحث فيها ما ينسبط به الرأي وتتهيأ الحكم وحسبنا الكلام

فيا نعلمه فاذا استتب لنا الحكم فيه لم يمتنع علينا الاستدلال على غيره من جانب آخر

ونحن نورد اولاً رأي كل فريق من علماء هذه اللغات في ايها كان اصلاً لسائرهما وتلقى كل قول بحجته وما أُورد عليه من الدفع ثم نعود الى رأي علماء البحث المتجردين عن المتابعة والهوى ونأتي في عرض ذلك بما يعن للبعيرة القاصرة من هذا القبيل وعلى الله سبحانه قصد السبيل

ففي مقدمة المنتجلين أصالة اللغات علماء العبرانية من اليهود وتابعهم كثيرون من مشاهير علماء النصرانية وغيرهم قالوا هي اللغة التي فتق الله بها لسان آدم عليه السلام وبقيت في ولده شيث حتى انتهت الى ابراهيم عن طريق عابر ابن سام ولذلك سميت بالعبرانية . قالوا وكان عابر خارجاً عن عداد الذين بنوا الصرح فلم يعرض على لسانه ما عرض على سائر الألسنة من البلبلة . ويستظنون لصحة دعواهم بأن كثيراً من الاسماء الواردة في حديث الخلق وما بعده الى الطوفان مثل آدم وعَدْن وفيشون وجيخون وغيرها أسماء عبرانية . وزعم يوسيفس انه وُجد العهد في هذه الديار عموداً من حجر كان منصوباً من قبل الطوفان بأمدٍ طويل عليه كتابة بالعبرانية في تلخيص جميع الصنائع والعلوم وانهما كانا عمودين على هذا المثال نصب احدهما شيث والآخر اخنوخ فذهب الواحد في مياه الطوفان وبقي هذا

وادّعت السريان ووافقهم كثير من مؤرخي الشرقيين كالمسعودي وابن خلدون وغيرها ان اصل اللغات كلها السريانية ودليلهم في ذلك ان نوحاً والذين كانوا معه في الفلك نزلوا بعد الطوفان بأرض الجزيرة وما يليها من

بلاد ما بين النهرين المجاورة لارمينية حيث استقرت السفينة ولغة تلك البلاد منذئذ الكلدانية وهي والسريانية لسان واحد على ما سنيته بعد . قلت وهذه الحجّة هي عين حجّة الارمن في مثل هذه الدعوى مع انهم ليسوا من السامية في شيء وانما هم فيما ذكروا من سلالة يافث . ويزيدون على ذلك ان الله عز وجل جبل آدم من تربتهم وانزله بأرضهم لان الفردوس كان بأرمينية وهناك علمه اللسان ولما انقضى امر الطوفان اعاد البقية البشرية الى ارضهم واقروا السفينة في بلادهم فانتشرت من ثم اللغة في سائر الارض فكانت فيها نشأة الانسان الاولى ومنهسا منبعثه الثاني . ولهم في ذلك ادلة اخرى لفظية من نحو ادلة اليهود لانظليل بذكرها

وقالت العرب كان اللسان الاول الذي نزل به آدم من الجنة عربياً الى ان بعد العهد وطال فخرّف وصار سريانياً فكان ذلك لسان الناس الى حين العرق . قالوا ولم يكن في الفلك من لسانه العربي الا رجل واحد يقال له جرهم فلما خرجوا من الفلك تزوج ارم بن سام بعض بناته فنههم صار اللسان العربي في ولده عوص ابي عاد الى آخر ما ذكروا

فأما حجّة اليهود فيقال فيها ان العبرانية لم تكن من لغة ابراهيم بدليل ان عشيرته في حاران كان لسانها الكلداني وشاهد ما ورد في الكتاب من حديث يعقوب ولابان وانهما حين تعاهدا في جبل جلعاد ونصبا تلك الجثوة من الحجارة سماها يعقوب جلعاد وهي لفظة عبرانية وسماها لابان يغر سهودوثا وهي لفظة كلدانية ومعنى التسميتين واحد اي جثوة الشهادة . ومن هنا يستدل على ان العبرانية كانت لغة الكنعانيين الذين هاجر ابراهيم

اليهم وهم الفلسطينيون ومن جاورهم وبه يشهد اشعياء حيث يسمي العبرانية لغة كنعان (الفصل ١٩ : ١٨) . واما تسميتها بالعبرانية وانها منسوبة الى عابر فان صحّت هذه النسبة اليه فانما هي للشعب لا للغة بدليل ان اهل كنعان كانوا يسمون ابرهيم عبرانياً وهذا اللقب لم يكن بالنظر الى اللغة قطعاً لما تقدم قريباً . غير انه لما ارتحل العبرانيون عن ارض كنعان فكثروا في مصر احقاباً متطاولة وخرجوا بعد ذلك الى البرية فأقاموا بها زماناً وهم في هذه المدّة كلها بين اقوام لغتهم تخالف الكنعانية نسبت هذه اللغة اليهم وسُميت بالعبرانية وعليه فاللغة منسوبة الى العبرانيين لا الى عابر كما توهموها .

ويزيد ذلك تأييداً ان جميع الاسماء الكنعانية القديمة من اعلام الناس والمواضع كأبيلك وأدوني بازق وقرية يعاريم وغيرها الفاظٌ عبرانية خالصة مع انها من الاوضاع التي كانت قبل ابرهيم . ولا يصح ان يدعى انها حوّلت الى العبرانية لان الاعلام تُحكى على اصلها والا فقد سقط احتجاجهم بما ورد من الاسماء العبرانية قبل الطوفان على ما تقدم في مقالاتهم . على ان العبراني من تلك الاسماء التي يذكرونها قبل الطوفان ليس الا الفاظاً معدودة وقد بقي من دونها الفاظ كثيرة بعضها لا ينطبق على لغة من اللغات المتعارفة البتة وبعضها ينطبق على غير العبرانية فلم يبق في ذلك حجة لاحد . واما مقالة يوسفس نخبراً أبتر لم يشفعه تواتر ولم يؤيده سند ولم يشهد به عيان وهؤلاء المؤرّخون الشريكون كلهم لم يرد هذا النبأ عن احدٍ منهم ولا سُمع ان هذا العمود نُقل الى بلادٍ اخرى فلا بدّ من بقاء هذه الرواية موقوفة حتى تؤيد بثبوتها

وحجة السريان مدفوعة بأن بلبله الالسنه المشهوره كانت في بابل مقرّ  
 اللغة الكلدانية حيث اختلطت الالسنه ولم يعد يتميز بعضها من بعض فسا  
 الدليل على ان فصيلة ابرهيم سلمت من هذه البلبله ومن اين يُعلم ان  
 الكلدانية هي اللسان الذي كان يتكلم به سام والذين نزلوا من الفلك  
 وحجة الارمن مردوده بمثل ما رُدت به حجة السريان للنصّ على ان  
 البلبله كانت شاملهً للالسنه كلها وبأن لغات السواد الاعظم من الامم  
 المعروفة لذلك العهد بقيت بعد البلبله يشابه بعضها بعضاً ولغة الارمن انفردت  
 بمخالفتهم جملةً فهي لذلك ابعدهنّ دليلاً . وبأنه لو كانت الاسماء القديمة  
 حجةً في مثل هذا السكات الحجة للعبيرانيين لكونها في لغتهم اكثر . وبعد  
 فقد روى هيرودوطس ان الارمن في اصلهم طارئةٌ من فريجية خيّم  
 بناحية اراراط فان صحّ هذا القول فقد قطعت جبهة قول كل خطيب  
 ومقالة العرب عاريةً عن السند ولكنهم ألقوا دلوهم في الدلاء فتركها  
 حتى يتبين دليلها . وفي الجملة فان الدعاوي في ذلك متزاحمة متعارضة فيشكل  
 فتاةً بأبيها معجبةً وكل قوم بما لديهم فرحون  
 وهنا أستسمح المعذرة من سادتي علماء الالسنه وجهاзде اللغات عمّا  
 اجترأت به من التعقيب على أحكامهم فما فعلت استخفافاً ولا تزيفاً ولا  
 اتخذت هذه الدالة بين ايديهم الا يقيناً بأني واياهم أمّو غرض واحد هو  
 احقاق الحقّ ونبذ الباطل . واسأل اخواني ارباب العصبية ان لا يعجلوا  
 الى الموجدة لما اسخطت به كل فريق منهم فسيرون عمّا قليل اني متعمّل  
 في ارضائهم جميعاً وسأثبت لهم بالبيّنات الدامغة ان كل واحدةٍ من لغاتهم

اصل قائم بنفسه فيقبلون جميعهم راضين عني ان شاء الله ويكونون  
نصرائي في وجوه المعترضين

وذلك أن الذي اذهب اليه ولست الأول فيه أن تلك اللغات بجملتها  
كانت اصلاً واحداً كما نص عليه في حديث الببلية ودعوى الاصاله للغة  
منها بخصوصها لا تثبت ولا يمكن ان يقوم عليها دليل والقول بأن في اللغات  
امهات وبنات يتولد بعضها من بعض ليس من المذاهب المرضية في وجه  
البحث . انما القول ان كل طائفة من اللغات مهما تبدلت هيئاتها وتعددت  
فروعها في الظاهر فالاصل متحقق في كل واحد من تلك الفروع مستصحب  
في جميعها على السواء . وما اعتور ذلك الاصل من التباين وتفرق اللهجة  
انما عرض بسبب تفرق المنتحلين له وطول انقطاع بينهم مع ما يضاف الى  
ذلك من تلون الشؤون وتعاقب الاحقاب وما زالت اللغة دائمة التغير  
معرضة لازيادة والنقصان شأن الارض وما عليها ( ستأتي البقية )

### o- الابن والرضاع -o-

وقفنا في احدى المجلات العلمية على المقالة الآتية للدكتور جانو فأحببنا  
تعريبها لما فيها من الفائدة قال  
من المتفق عليه ان افضل ما يرضعه الطفل لبن امه غير انه كثيراً  
ما يتفق ان الوالدة لا تستطيع ارضاع طفلها لما نعتجى الى تغذيته بلبن  
الحيوان واكثر ما يستعمل في ذلك لبن البقر الا انه على الغالب لا تتوفر فيه  
الشروط الملائمة للصحة فيكثر بسببه الموت في الاطفال